

المواطنة

مفهوم المواطنة:

اللغة العربية: المفاعلة بين اثنين فأكثر قد يصبحون
عشرات أو مئات أو ملايين يتفاعلون حول الوطن فيقتسمون
كل الانتماءات وكل الحقوق والواجبات وبذلك يحققون انتماء
آخر بعضهم لبعض بالتصاق مع الوطن الذى هو قطب الرchy فى
هذا الانتماء ومنهم يتكون الشعب وتتكون الأمة.

والمواطنون يحملون دلالات أقوى من دلالات الشعب لأن
كلمة الشعب لا تشعر بالانتماء وبالارتباط بالأرض وبالأخر
إلا عرضاً. ولكن المواطنة تشعر بما يوحي به جذر الكلمة لغوياً
وبما يوحي به مفهومها القانونى والسياسى وما يوحي به
التفاعل بين الذين ينتمون إلى الوطن فيأخذون منه ما يعطى
من حقوق ويمنحونه ما يتطلب من واجبات. والمواطنون
يحملون دلالات أقوى من دلالات الأمة تستمد مفهومها أحياناً
من الجنس أو اللغة أو الدين ولو اختلفت أوطانها أو باعدت
التيارات السياسية بين دولها وباعد بينها التكوين الدولى.

ولكن المواطنة تقتضى الالتصاق بالوطن كأساس يفرض فى
الغالب وحدة اللغة وأحياناً كثيرة وحدة العرق ووحدة الدين،
ودائماً وحدة الحكم ولو فى اتحاد فدرالى ووحدة العلم بكل
ما تعنيه من الدفاع عنه والاستشهاد فى سبيله^(١).

وبأسلوب آخر فالمواطنة لغة: مفاعلة أى تفاعل بين الإنسان
المواطن وبين الوطن الذى ينتمى إليه ويعيش فيه وهى علاقة تفاعل
لأنها ترتب للطرفين وعليهما العديد من الحقوق والواجبات.

ولا بد لقيام المواطنة أن يكون المواطن وولائه كاملين للوطن
يحترم هويته ويؤمن بها وينتمى إليها ويدافع عنها بكل
ما فى عناصر هذه الهوية من ثوابت اللغة والتاريخ والقيم
والآداب العامة والأرض التى تمثل وعاء الهوية والمواطنين.
وولاء المواطن لوطنه يستوجب البراء من أعداء هذا الوطن^(٢).

وبتعبير ثالث فالمواطنة لغة مفاعلة أى مشاركة. وقد يكون
الإنسان مواطناً بحكم جنسيته أو مكان ولادته أو غيرهما من

(١) عبد الكريم قطب، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، سلسلة الثقافة
القومية ٣٣ مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢) محمد عمارة، السنة النبوية فى المواطنة، مقال فى جريدة الأخبار -
العدد ٧٠٧٦ سنة ٥٥ الجمعة ١٢ / ١ / ٢٠٠٧ م.

الأسباب، ولكن هل تكون لديه وطنية تجاه المكان الذى يعيش فيه^(١). ويأتى تعريف آخر للمواطنة: أنها التعبير الاجتماعى لعملية انتماء الإنسان للواقع والموقع الذى يعيش فيه^(٢).

وإن مواطناً من غير وطن تائه ووطن من غير إنسان مهجور ولا معنى له والربط بينهما هو المواطنة التى تجعل المواطن مستقراً فى وطنه، هادئ البال فيه. كما تجعل الوطن معموراً بالمواطنين الذين يحبون وطنهم ويفقدونه بالغالى والنفيس.

وبالمقارنة بين هذه المفاهيم الأربعة للمواطنة يتضح لنا الأتى :
أنها تتلاقى جميعها على وجه التقريب فى أنها مفاعلة وزناً ومعنى وتكون هذه المفاعلة فى التوطن أى المشاركة فى الوطن الواحد جنسية أو مكان ميلاد أو غيرهما كما أنها تتلاقى فى أن أحد طرفى العلاقة مواطن والآخر وطن وأن الرابطة بينهما تتمثل فى الانتماء والولاء وتبادل الحقوق التى للمواطن لدى الوطن ومقابلها الواجبات التى للوطن على المواطن.

(١) د. خالد عبد العزيز الشريية، رؤيا فى السياسة الاجتماعية، ورقة بحث مقدمة للقاء قادة العمل التربوى فى وزارة التربية - الباحة المحرم سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٩م.

(٢) د. خالد عبد العزيز الشريية، صناعة المواطنة فى عالم متغير (مرجع سابق).

التمايز بين المواطنة وغيرها من المفاهيم السياسية الأخرى:

المواطنة والمواطن:

إن المواطن هو الإنسان الذى يستوطن الوطن معه كلما كان ، ويلتقى المفهوم الأسمى للمواطن مع المفهوم الأسمى للإنسان فى أنه ليس تجريدياً ولكنه يأخذ من مضامين الوطن ويمنحه كل مضامين المواطن لينتقل مفهوم المواطن إلى مفهوم أشمل ، وهو المواطنة التى هى تفاعل المواطن مع الوطن ، وبذلك يزيد المواطن اقتراباً من أسمى مفهوم الإنسانية فتصبح المواطنة إنسانية مضافاً إليها التعلق بشخص آخر يشاركه فى الوطن ويقتسم معه كل مضامين الوطن والمواطن^(١).

المواطنة والوطنية:

إن الوطنية تنبع من حب الوطن والاندماج فى مقوماته الأرضية والإنسانية والعقائدية والفكرية والتاريخية والدفاع عنه إلى حد الاستشهاد.

(١) عبد الكريم قطب، سلسلة الثقافة القومية (٣٣) مركز دراسات الوحدة العربية (مرجع سابق).

وتعنى كذلك أن يرفع المواطن سيرة الوطن وهو يتحرك فى طريق التنمية الاقتصادية أو فى طريق التنمية الديمقراطية أو فى طريق تصحيح مسار الحكم^(١).

والوطنية هى الإطار الفكرى والنظرى للمواطنة بمعنى أن الوطنية عملية فكرية بينما المواطنة ممارسة عملية^(٢).

ومن جهة أخرى فالوطنية تعنى الانتماء والولاء الفكرى لموقع الوطن الذى يسكن المواطن فيه وتعنى المواطنة: المشاركة فى كل ما يخدم هذا المكان الذى يعيش فيه الإنسان المواطن^(٣).

المواطنة والهوية:

لو التمسنا تعريفاً للهوية لكان تعريفها ما يكون الشيء به هو لكن الهوية التى نبحث عنها تتكون لدى الأمة والشعب والمواطن فى حلقات متتابعة من التاريخ على قدر ما انحدرت فى أعماق التاريخ.

(١) عبد الكريم قطب، سلسلة الثقافة القومية (٣٣) مركز دراسات الوحدة العربية (مرجع سابق).

(٢) د. خالد عبد العزيز الشريدة، صناعة المواطنة فى عالم متغير (مرجع سابق).

(٣) د. خالد عبد العزيز الشريدة، صناعة المواطنة فى عالم متغير (مرجع سابق).

والهوية القومية أساس من الهوية العامة للأمة والشعب والوطن والمواطن ولا نعنى بالقومية العرقية. فتلك رؤية مختلفة للهوية، وإنما نعنى القومية التى يبلورها الانتماء إلى مجموعة بشرية جمعها التاريخ واللغة وأهداف مشتركة ودين مشترك كل ذلك فى الغالب. ومفهوم الهوية مهدد من جديد بالنظام العالمى^(١). والمواطنة وإن كانت تتلاقى فى الانتماء مع الهوية فكل منهما لابد أن يصاحبه انتماء إلى الوطن ينتسب إليه ضيقاً فى نطاق الوطنية أو متسعاً فى نطاق القومية.

المواطنة والقومية:

القومية جانب أوسع من الوطنية وإن كانت الكلمتان قد اختلفتا فقد تجاوز المفهومان. فالذين يتعلقون بالوطنية ينتسبون إلى الوطن كدولة والذين يتعلقون بالقومية ينتسبون إلى الأمة التى قد تستوطن أكثر من دولة والمواطنة فى حالة الوطنية أضيق مجالاً منها فى حالة القومية لأن الأولى نطاقها شعب يسكن دولة والأخرى مجالها شعوب تقيم فى عدة دول.

(١) أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، الثقافة (٣٣) عبد الكريم قطب.

المواطنة والديمقراطية:

الحرية هي أساس الديمقراطية التي (هي حكم الشعب بالشعب وللشعب)، وتحقيق الحرية هو السبيل الوحيد لتحقيق الديمقراطية. ومع الحرية والقانون وضمان حقوق الناس بدأ النظام الديمقراطي ينظم نفسه بالدستور والقوانين التنظيمية والمؤسسة المنتخبة^(١). إن الشرعية الديمقراطية كمبدأ أى كإطار لممارسة الإنسان لحقوق المواطنة يجعلها سابقة على القنوات والمؤسسات التي تمارس فيها وبواسطتها^(٢). ويمكن القول فى إيجاز مركز أنه: لا ديمقراطية دون مواطن وحقوق مواطنة وهذه أزمة الدول المتأخرة^(٣).

المواطنة والدولة الحديثة:

إن مفهوم المواطنة هو أحد المكونات الأساسية والمتطورة للمعنى والمحتوى والدلالة فى إطار الدولة القومية الحديثة

(١) أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، الثقافة (٣٣) عبد الكريم قطب.

(٢) د. محمد عابد الجابرى، سلسلة الثقافة القومية (٢٦) قضايا الفكر العربى، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٣) نبيل عبد الفتاح، جريدة الدستور، العدد ٨٥ أول نوفمبر سنة ٢٠٠٦م. المواطن والدولة الحديثة، صفحة ٢٥.

والرأسمالية الغربية ومن ثم أثر التطور فى كليهما على مفهوم المواطنة من الدلالات القانونية السياسية إلى الدلالات المدنية والحقوقية إلى مجال الحقوق الاجتماعية.

إن مفهوم المواطنة بأبعاده ارتبط تاريخياً بتصورات الدولة القومية الحديثة وبالحقوق والحريات الأساسية ومبدأ دولة القانون. وإن مفهوم المواطنة فى إطار الدولة القومية يواجه تحديات ما بعد القومية وإن نشوء قومية فى شكل كيانات كالاتحاد الأوروبى أدى إلى نشأة مجموعة من الحقوق والالتزامات العابرة للحدود مما سيؤثر حتماً فى مفهوم المواطنة التقليدى الذى ارتبط بالدولة القومية^(١).

المواطنة وحقوق الإنسان:

هناك خلط يحدث فى بعض الأحيان بين مفهوم المواطنة بما تقتضيه من حقوق وبين حقوق الإنسان، أو قد يعتبرهما البعض مترادفين بما اشتركا فى الحقوق، ولكن حقوق الإنسان هى مبادئ إنسانية على الجميع دعمها وتبنيها وإتاحة

(١) نبيل عبد الفتاح، المواطنة والدولة الحديثة، مقال بجريدة الدستور، العدد ٨٥ فى أول نوفمبر سنة ٢٠٠٦م صفحة ٢٥.

الفرصة لتطبيقها. أما المواطنة فهي كفاح على أرض الواقع من أجل اكتساب الحقوق^(١).

المواطنة والعولة:

إن التحولات العالمية وما بعد الحديثة وما بعد القومية أثرت في مفهوم المواطنة، ولاسيما في ظل انكسار الحدود القومية وخاصة في دور متنام للاتفاقات الدولية وبروز مؤسسات عبارة لحدود الدول القومية بل وتساعد الدور الذي تلعبه بعض الاتفاقات في إكساب مواطني بعض الدول الأطراف فيها حقوق المواطنة داخل نطاق دول أخرى متعاهدة معها ومثلها حقوق المواطنة في العمل والتقاضى في دول المجموعة الأوروبية^(٢).

المواطنة والانتماء:

الانتماء حاجة متأصلة في طبيعة النفس البشرية. وإنسان لا ينتمى لوطن تائه. ووطن من غير إنسان ينتمى إليه مكان

(١) نبيل عبد الفتاح، المواطنة والدولة الحديثة، مقال بجريدة الدستور، العدد ٨٥ في أول نوفمبر سنة ٢٠٠٦م صفحة ٢٥.

(٢) نبيل عبد الفتاح، المواطنة والدولة الحديثة، مقال بجريدة الدستور، العدد ٨٥ في أول نوفمبر سنة ٢٠٠٦م صفحة ٢٥.

مهجور لا معنى له^(١). وترتبط المواطنة بالانتماء ارتباطاً وثيقاً إذ إن الانتماء مظهر من مظاهر تفاعل المواطنة. فعندما يتفاعل المواطن مع وطنه في صورة المواطنة يظهر أول ما يظهر انتماءه لهذا الوطن في صورة ولاء وحب وإخلاص وتفان وتضحية وكل هذه النتائج تتمخض عن مظهر المواطنة في شكل انتماء بل إن الوطنية في حقيقتها إنما تعنى – في معناها القانوني الحديث – انتماء المواطن إلى دولة معينة يحمل جنسيتها ويدين بالولاء لها.

المواطنة والسياسة:

السياسة تعنى إدارة شئون الناس والتفكير فيها والتمييز بين صائبها وفاسدها والتعاون مع الذين تدار شئونهم بالتفكير والتشريع والممارسة والتوجيه والتغيير، والسياسة هي المحرك لجميع الشئون والمتحكمة في السلام والحرب والعلم والمعرفة والموجه الأساسي للاقتصاد نحو رفاهية الشعب (عند إحباطها يكون بؤس المجتمع) والوطن نفسه يفرض الثقافة

(١) ريان قوت، ترجمة ابن بكر وسحر الشيشكلي، مراجعة وتقديم فريدة النقاش، صفحة ٩٠.

السياسية الوطنية والتي تفرض نفسها على المتعلم المثقف حتى لا يبقى نائياً بفكره وإحساسه عن بلاده.

بينما المواطنة كما سبق فى مفهومها هى تفاعل المواطنين بوطنهم ، وتقتضى التصاقهم به وتفرض عليهم التجاوب معه والوطن يسعد ويشقى ويسمو علمياً وحضارياً وسياسياً بمشاركة مواطنيه الفعالة الدائمة والدائبة^(١).

إذن فالسياسة هى إطار التحرك ومجاله ووسيلته المشاركة التى هى روح المواطنة وبغيرها لا تتحقق فاعليتها ولا تثمر ولا تجدى.

المواطنة والقانون والعدالة:

مفهوم دولة القانون يكمل مفهوم القانون. ودولة القانون هى الدولة التى تعيش بالقانون وتمارسه تطبيقاً فى واقع حياتها فى كل تصرفاتها السياسية والقضائية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والأخلاقية.

(١) عبد الكريم قطب، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، سلسلة الثقافة القومية ٣٣ مركز دراسات الوحدة العربية.

ويكتمل مفهوم القانون بوضوح مفهوم العدالة التى تنفى عملياً كل أشكال الظلم فتحقق بذلك جوهر العدالة^(١) فالقانون وسيلة لتحقيق غاية العدالة والقانون المحقق للعدالة هو المناخ المنظم للمشاركة الفعالة للمواطنة فلا تتواجد المواطنة بشكل منتظم محكوم إلا فى إطار من القانون الذى يستهدف العدل. ولقد سما القانون بالمواطنة ووضعها فى أعلى مكانة بل فيما يعرف بالقمة من القوانين. فموضع المواطنة غالباً من القوانين هو الدستور أو المواثيق، كما حدث فى المادة ٤٠ من دستور جمهورية مصر العربية وكما حدث فى دستور المدينة المنورة على عهد النبى ﷺ.

وحتى عند تعديل دستور جمهورية مصر العربية حظيت المواطنة بجانب كبير من الاهتمام وكان المقترح أن تكون بديلاً عن تحالف قوى الشعب العاملة فى الدستور المقترح وتعديل مواده وهكذا اتضحت الصلة الوثيقة بين المواطنة والقانون المستهدف للعدالة.

(١) عبد الكريم قطب، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، سلسلة الثقافة القومية ٣٣ مركز دراسات الوحدة العربية.

المواطنة والحرية:

إن الحرية قيمة بذاتها لا تقاس ممارستها باعتبارها خارجة عن ذاتها وعن الإنسان الذى يمارسها، ولذلك لا مجال للتردد فى تقنينها بالدساتير والقوانين. كما لا مجال للحد من ممارستها كاملة غير منقوصة^(١).

والضابط الأساسى لحدودها هو عدم الإضرار بالآخرين حسب القاعدة: (أنت حر فيما لا تضر) وكما جاء فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)^(٢).

ومن المعلوم أن الحرية حق مهم، بل من أهم الحقوق المكفولة للمواطنة. فالعلاقة بين الحرية والمواطنة تتجلى فى أن المواطنة عند مباشرتها تقتضى أن تتم هذه المباشرة فى حرية لا يقيدتها إلا تجنب الإضرار وذلك حتى يتحقق المرجو منها.

المواطنة والسلطة:

لابد للوطن فى شكل الدولة الحديثة من سلطة حاكمة تتعدد سبل توليها الحكم وفى النهاية لابد من وجودها

(١) المرجع السابق، عبد الكريم قطب، قضايا الفكر العربى.

(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده.

كضرورة حتمية وضابط للتشريعات صدوراً وقضاءً وتنفيذاً ورعاية للحريات حماية وانضباطاً فلا تخرج عن مسارها وحدودها فتضر.

والمواطنة فى حاجة ماسة إلى السلطة التى تنظم تفاعلها ومشاركتها حتى لا تتحول إلى تخبط وتعارض وفوضى تضر بمصلحة الوطن والمواطنين. فالسلطة وقاية وحماية وتنظيم ورعاية المواطنة.

والسلطة فى الحقيقة لها معنيان: الأول: تعنى المؤسسات التى تنقسم إلى ثلاثة أقسام، وقد تكون أربعة:

- ١ - سلطة تشريعية: تصدر التشريعات وتراقب تنفيذها.
- ٢ - سلطة تنفيذية: تنفذ القوانين بلوائح وقرارات.
- ٣ - سلطة قضائية: تطبق القوانين واللوائح والقرارات.
- ٤ - سلطة الصحافة: للرأى والتعبير عن الآراء وإلقاء الضوء على جميع السياسات.

المعنى الثانى: السلطة المعنوية المخولة لكل من السلطات الأربع.

وجميع هذه السلطات بأنواعها ومفاهيمها فى خدمة المواطنة وتيسر فهمها وتسهيلها.

المواطنة والنساء:

طالبت النساء لقرنين ماضيين كاملين بوجوب أن تصبح مطالبهن النوعية جزءاً من المواطنة أى بأن يصبحن نساء مواطنات. ولم يكن هذا المطلب مقبولاً ولم يلب خلال هذين القرنين، وكانت هذه المطالب النسوية تحديداً هى ما يضع النساء فى علاقة تتناقض مع المواطنة أو فى أفضل الأحوال مفارقة وتتعارض معها.

والواضح أنه إذا كان شأن النساء أن يصبحن مواطنات أى كائنات مستقلة عن الرجال ومساوية لهم وهن مع ذلك كائنات مغايرة على المستوى الجنسى يجب أن تخضع كل من النظرية والممارسة الديمقراطية لتحول جذرى^(١).

– لكى نحصل على مواطنة متساوية لكل من الرجل والمرأة تحتاج النسويات إلى خلق مفردة أخرى للمواطنة يجب أن تقوم المرأة بتصحيح المفهوم والممارسة للمواطنة ليست لمعنى المساواة فحسب بل الحرية والمشاركة والسياسة والتقييم السياسى كذلك.

(١) ريان قوت، ترجمة ابن بكر، وسحر الشبشكلى، مراجعة وتقديم فريدة النقاش صفحة ٩٠ و صفحة ٩١.

- المشاركة للحصول على حقوق متساوية هي أساس السعادة المتساوية مع الرجال يجب أن تكون المرأة محترمة بينهم وليست مجرد جسد مرغوب فيه ليغازل رغبتهم الجنسية، ويجب أن تكون محترمة في نظر نفسها ويجب أن تبذل مزيداً من الطاقة، ويجب أن تكون أكثر فائدة، ويجب أن تكون النساء مشاركات فعالات في المجتمع وسوف تتحقق المواطنة بالفعل عندما تزداد مشاركتهن في صناعة القرار^(١).

المراحل الأساسية للمواطنة:

تتابع متوالية في ثلاث مراحل كما يلي:

المرحلة الأولى: (مرحلة الفكرة): بدأت في المدينة الأثينية (أثينا) في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد، ولم تخرج عن إطار الفكرة، ولم تظهر شكلاً مكتملاً بل اقتصرت على الجانب السياسى فقط فكان من حق جماعة أن تشارك في إطار المدينة وذلك لنخبة متميزة منها لم تتجاوز إلى الأجانب والنساء والعبيد حيث كان المجتمع عبودياً.

(١) ريان قوت، ترجمة ابن بكر، وسحر الشبشكلي، مراجعة وتقديم فريدة النقاش صفحة ٩٠ و صفحة ٩١.

وتكلم كثيرون عن المواطنة وأهميتها وأوضحوا الاهتمام بأهمية ممارستها على الجانب الإنساني والأخلاقي، ولكن الأفكار لم تتحقق على أرض الواقع.

المرحلة الثانية: (مرحلة الممارسة): هي مرحلة عملية ظهر فيها التحرك على المستوى العملى القاعدى حتى تتحقق المواطنة عملياً ويطلق عليها المواطنة بالممارسة بعد أن تبلورت المواطنة فكرياً فى المرحلة السابقة وبعد الجهود الفلسفية التى كان آخر نتائجها العقد الاجتماعى لجان جاترسو والذى حدد معالم المجتمع المتحد فى إطار الدولة المتحضرة وأظهر أفرادها المواطنين المشاركين فى السلطة الممارسين للمواطنة وحقوقها والملتزمين بواجباتها.

المرحلة الثالثة (مرحلة النظرية):؛ باتساع مفهوم المواطنة بدخول طبقات وفئات جديدة فى بداية القرن العشرين وهذه الطبقات الاجتماعية الجديدة القاعدية دخلت دائرة المشاركة فى إدارة شئون البلاد مما شكل جوهر المواطنة الحقيقية واستكمل نظريتها المستخلصة من واقع دائرة ممارستها الشاملة لكل المواطنين وأطلق عليها (مواطنة القرن العشرين)^(١).

(١) أ/ سمير مرقص، إطلالة على مسار المواطنة التاريخي، من صفحة ١١ إلى صفحة ١٦ (باختصار).

صور المواطنة الجديدة:

يمكن تصور أربع صور لها وهى:

- ١ - الكوزموبوليتانية: تعنى كيف ينتمى الناس اتجاهًا إزاء المواطنين الآخرين ومجتمعات الثقافات الأخرى.
- ٢ - المواطنة الأيديولوجية (الدينية): هى التى تتعلق بحق والتزامات مواطنى الأرض بالنظر إلى الديانات.
- ٣ - مواطنة الأقلية: ضمنت حقوق الدخول فى مجتمع ما والبقاء فيه ولو كانوا قلة.
- ٤ - المواطنة المتحركة: وتعنى الحقوق والمسئوليات فى أماكن وثقافات أخرى^(١).

صور أخرى للمواطنة:

هناك أربع صور حديثة رئيسية أخرى هى:

الأولى: الصورة الجماعية: تدل ضمناً على المشاركة والخدمة الاجتماعية من أجل المنفعة العامة فهى تشدد بقوة على المشتركات الضمنية: الثقافة والقيمة الأخلاقية التى يشترك فيها المواطنون ويجادل المناظرون بأنه من أجل الحفاظ

(١) نبيل عبد الفتاح، المواطنة والعلومة، صفحة ٤٤.

على مجتمع ما يجب التحكم فى التطبيقات العملية المؤثرة للمواطنة على المستوى الأخلاقى.

الثانية: الجمهورية المدنية: تظهر المواطنة بوصفها المشاركة السياسية، ولا يشير إلى نظام أخلاقى أساسى أو إلى تجمع أصلى، ولكنه يشير إلى فكرة مساهمة المواطنين فى صنع القرار وإضفاء القيمة على كل من الحياة العامة والجدل العام.

الثالثة: الليبرالية الجديدة: هو المفهوم التحريرى ويرى المواطنة بوصفها وضعية قانونية وهى فى الواقع جديدة فعلاً، ولكنها تحتفظ بخيوط تربطها بالليبرالية الكلاسيكية وأنصارها ضد الرفاه الاجتماعى ومع السوق الحرة فهى ترى المواطنين مبدئياً كمستهلكين عقلاء للبضائع العامة، كما نعتقد أن المصلحة الشخصية هى الدافع الأساسى المحرك للمواطنين.

الرابعة: الليبرالية الاجتماعية: أصبح مفهومًا عن المواطنة مسيطراً فى معظم الديمقراطيات الليبرالية منذ الحرب العالمية الثانية، وهو المفهوم الذى استجابت له المرأة بصورة أساسية وطبقاً لمنظورها يجب أن تكون المواطنة شاملة وقائمة على المساواة أى تشمل كل البالغين ضمن نطاق الدولة كما يجب أن تتضمن المساواة فى الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية

كمقابل فى المساواة فى الواجبات، ويحصل الأفراد بمقتضاها على أكبر قدر ممكن من التحرر ليمارسوا حقوقهم وليطوروا شخصياتهم. وللمواطنة الليبرالية الاجتماعية معيار أخلاقى محدود، وهو ما يمكن أن نجده فى قوانين الجدولة وهو معيار ما تتمتع به العدالة وعدم التمييز من سمة أخلاقية^(١).

المواطنة الفعالة:

تلك صورة فعالة متفردة يلزم إيضاها فيما يلى :
إن المواطنين بالمعنى العادى للكلمة – هم أولئك الذين يأخذون دورهم فى أن يكونوا حاكمين ومحكومين ويختلف هذا الوضع من دستور لآخر، وفى الدولة المثالية هم القادرون والراغبون فى الحكم والطاعة مع الحياة الفاضلة كهدف لهم. ولا تتألف المواطنة الكاملة من المشاركة فى صنع القرار فقط بل من احتلال الذاتية السياسية أيضاً، ومن كيفية لعب الأدوار السياسية والقدرة على التقييم السياسى^(٢).

(١) ريان قوت، ترجمة أيمن بكر وسحر الشبشكلى، مراجعة وتقديم فريدة النقاش، صفحة ٣٢ و صفحة ٢٣٩.

(٢) ريان قوت، ترجمة أيمن بكر وسحر الشبشكلى، مراجعة وتقديم فريدة النقاش، صفحة ٣٢ و صفحة ٢٣٩.

موضوعات المواطنة^(١):

لابد لباحث موضوع المواطنة من مواجهة الموضوعات التالية ودراستها:

أولاً: الحرية: لها مقابلات من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: المدى الذى يكون فيه الشخص حراً من القيد الاجتماعى أو القانونى فى فعل ما يمكن أن يشتهى فعله.

الوجه الثانى: تعنى من جهة أخرى استقلالاً (الوضعية الرسمية) للشخص باعتباره مستقلاً ومساوياً لغيره وليس تابعاً.

الوجه الثالث: حرية المرأة: فطالما تفعل النساء الأشياء التى يفعلها الرجال فلماذا هن غير متحررات، والمطلوب تنشيط تحررهن. فكون الإنسان امرأة لا يجب أن يحد من حريتها وذلك من مقتضيات المواطنة ومهمة تحقيق حرية النساء يشترك فيها ثلاثة: الدولة - الرجال - النساء.

الدولة: بتعزيز انضمام النساء كمواطنات متساويات مما يفيد الدولة الديمقراطية إذ سيدمج مواهب ومهارات جديدة.

(١) ريان قوت، ترجمة أيمن بكر وسحر الشيشكل، مراجعة وتقديم فريدة النقاش، صفحة ٩١، ١١٠، ١٣٧.

الرجال : بتضامنهم مع مجموعة المواطنين المرتبطة ببعضها فيما يتصل بحريتها.

النساء : هن أصحاب المصلحة وهذه مهمتهن أنفسهن ، فعليهن أن يجهدن أنفسهن في استحداث ما يمكنهن من تحرير أنفسهن.

ثانياً: الحقوق:

في كل معجم للمواطنة تمنح الوضعية الرسمية للمواطنين مدخلاً لحقوق مهمة ولكنها ليست كل الحقوق التي يفكر المواطن فيها. حقوق المواطنة وحقوق الإنسان:

حقوق الإنسان بقرارات دولية تكاد تسود العالم بكل دولة ومواطنيها. أما حقوق المواطنة فتضعها دولة معينة لمواطنيها بقوة القانون فهي حقوق قانونية محددة متجسدة يمكن المطالبة بها بقضايا في المحكمة.

الحقوق في مجال المواطنة الليبرالية الاجتماعية:

فكون الفرد مواطناً تمنحه المواطنة حقوقاً متساوية مع كل من عداه من المواطنين ، وأبرز هذه الحقوق التي تمنحها المواطنة ، ومن أهم موضوعاتها ثلاثة هي :

١ - حقوق مدنية: تتمثل فى صور التعبير والتفكير والاعتقاد والحق فى حيازة ملكية خاصة وإبرام عقود قانونية.

٢ - حقوق سياسية: تتمثل فى حق التصويت والترشيح فى الانتخابات.

٣ - الحقوق الاجتماعية: تتمثل فى الحقوق التى تضمن الرفاهية والأمن الاقتصاديين.

ثالثاً: المساواة الاجتماعية: تتمثل فى معنيين هما ما يأتى:

المعنى الأول: المساواة فى الثروة المادية: هى ليست مبدأ مطلقاً ولا معياراً صارماً ولكنها مفهوم نسبى وإن للاقتصاديات تأثيراً كبيراً فى الحقوق السياسية بحيث يصعب التمييز بين القوة الاقتصادية والقوة السياسية فيؤثر موقع الشخص الاقتصادى فى ممارسته لحقوقه السياسية، ويؤثر مستوى الثروة المادية فى مواطنة المرأة بطريقة أخرى. فالفقر فى المجتمع الرأسمالى يقلل من قيمتها، ولا يحظى المرء بالاحترام لأنه ببساطة ينقصه المال ولا يسمع صوته، ولا رأيه لأنه صوت خاسر.

المعنى الثانى: المساواة فى المشاركة الاجتماعية: فإنها تؤثر فى مواطنة الفرد المواطن ومستوى ونوع المشاركة الاجتماعية

كلاهما مهم فى هذا الخصوص. فمن خلال الممارسة الاجتماعية يتعلم الناس كل أنواع المهارات التى تنعكس فتنفيذ فى حد كبير فى ممارسة المواطنة الديمقراطية.

وجميع الحقوق السابقة لا تحتاج إلى مجرد الإثبات والتقريب بالدراسات والقوانين وإنما هى فى حاجة ماسة إلى الممارسة ممن قررت لأجله هذه الحقوق من المواطنين. فإن ممارسة هذه الحقوق يمثل جزءاً حاسماً من ممارسة المواطنة التى تنبع منها هذه الحقوق، فإن لم تتم ممارستها فإنها ستظل فى الدراسات والقوانين (حبراً على ورق) بل لا تساوى فى القيمة الورق الذى كتبت عليه. خاصة فيما يتعلق بالمرأة التى لا تمارس حقوقها الرسمية المقررة لها فى الدراسات والقوانين بالمستوى نفسه الذى يمارسه الرجل مما يجعلنا نقول: إن المرأة بذلك ليست مواطنة مساوية للرجل بعد لأن مواطنتها ناقصة فى ممارستها ولن يمكن الوصول إلى المواطنة الفعالة الكاملة والمتساوية بين الجنسين كوسيلة لزيادة احترام النساء إلا إذا حدثت ممارسة النساء بالمشاركة فى صنع القرار ونجحت فى القيام بهذا. وهذا هدف وغاية مرجوة تحقيقها. ويقتضينا الأمر أن نستوضح الموضوع بإلقاء الضوء عليه بأسلوب آخر فيما يلى :

المواطنة بين المفهوم والممارسة^(١):

لكى ينجلى وضع المواطنة من مفهومها النظرى إلى ممارستها العملية يقتضى الأمر بيان ما تركز عليه المواطنة من قيم محورية عملية تتمتع بها لتنقلها من المفهوم النظرى إلى المشاركة والممارسة الفعلية، وتتمثل هذه القيم المحورية على أربع مرتكزات هى:

أولاً: المساواة: وتنعكس على العديد من الحقوق مثل التعليم والعمل والجنسية والمعاملة المتساوية أمام القانون والقضاء.

ثانياً: الحرية: وتنعكس فى العديد من الحقوق مثل حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية وحرية التنقل داخل الوطن وحرية الحديث والحوار والمناقشة مع الآخرين حول مشاكل المجتمع حاضره ومستقبله وحرية تأييد الاحتجاج على قضية أو موقف أو سياسة ما تتعلق بالوطن فى شئونه الداخلية أو الخارجية.

ثالثاً: المشاركة: تتضمن العديد من الحقوق مثل الحق فى تنظيم حملات الضغط السلمى على بعض المسؤولين لتغيير

(١) الشيخ عبد الحميد محمد على والقس فكرى رجائى، المواطنة بين المفهوم والممارسة، صفحة ١١.

السياسة أو البرنامج أو بعض القرارات، وممارسة كل أشكال الاحتجاج السلمى المنظم: كالتظاهر والإضراب حسبما ينظمها القانون، وتأسيس والاشتراك فى الأحزاب السياسية أو النقابات أو الجمعيات الأهلية أو تنظيمات أخرى خاصة بخدمة المجتمع أو طائفة من أفرادہ.

رابعاً: المسئولية الاجتماعية: وتتضمن العديد من الواجبات كواجب دفع الضرائب وتأدية الخدمة العسكرية للوطن واحترام حرية وخصوصية الآخرين واحترام القانون. وهكذا ومن كل ما سبق يتبين أن المواطنة ليست مجرد مجموعة من النصوص والمواد القانونية التى تثبت مجموعة من الحقوق لأعضاء جماعة معينة وتفرض عليهم مجموعة من الواجبات، ولكنها ممارسة نشاط داخل مجتمع ولا تتم بشكل عرضى أو محلى بل هى عملية تتم بشكل منتظم ومتواصل وبطرق صغيرة وعديدة وبتفاصيل لا تعد. هى جزء من نسيج حياتنا اليومية.

ولذلك فالوعى بالمواطنة يعتبر نقطة البدء الأساسية فى تهيئة المواطن للمواطنة مما يستوجب ويتطلب بشكل ضرورى التربية على ثقافة المواطنة بكل ما تحمله من قيم وما تحتاجه

من مهارات. ومن هنا تأتي علاقة المواطنة الوثيقة والمهمة بالتربية والتعليم إذا أردنا تحقيقها على وجهها الأمثل والأكمل مفهوماً وممارسة.

عوامل تنخر في مفهوم المواطنة (أعداء المواطنة)^(١):

تواجه المواطنة باعتبارها مفهوماً ناشئاً معاصراً للدولة الحديثة مصادمات وعوائق تتعرض لمسيرتها وتنخر مفهومها مما يؤثر بالضرورة على ممارستها ويترصد أعداء المواطنة ليبرزوا هذه العوامل التالية:

١ - نمو الادعاء بأن هناك معايير تفوق في أهميتها وأولويتها معايير الدولة والقومية: وهما محتوى المواطنة. وهذه المعايير التي ينميها الادعاء العدائي تتمثل في ضمير الفرد المواطن وتعاليم الأديان مما يصارع المواطنة ويغالبها.

٢ - العولة والنظام العالَمى الجديد: فإن وسائل الاتصالات الإلكترونية الحديثة (الكمبيوتر والإنترنت والتليفزيون والموبايل) جعل الفواصل بين الدول سهلاً جداً وميسراً مما يكاد يجعل العالم بدوله المختلفة كأنه الدولة أو الوطن الواحد

(١) حسن أحمد، أين حوارات المواطنة؟، صفحة ١٩ وما بعدها (بتصرف).

مما أثر تأثيراً بالغاً فى المواطنة التى هى ارتباط بين المواطن ودولة واحدة فكيف يكون مصيرها والعالم كله كاد يكون وطناً واحداً فهل صارت المواطنة لصيقة بالعالمية، كما قد أصبح المواطن عالمياً وذلك تصوير لأعداء المواطنة.

٣ - تغيير القيم والأخلاقيات: إن من أبرز خصائص شباب المواطنين فى هذا الزمان التعجيل ونفاد الصبر ولا طاقة لهم على الانتظار مدعين أنهم فيما يدعون فى عصر السرعة وكل هذه الصفات خلقت فى النفوس عدم الاستقرار مما زعزع الثقة فى مفهوم الوطن وأضعف الارتباط به وانعكس بالتالى على المواطنة متأثرة به وبات شعار الشباب هو (ليس بينك وبين بلد نسب خير البلاد ما حملك).

والتمثل بمقولة سيدنا على كرم الله وجهه: (الغنى فى الغربة وطن والفقير فى الوطن غربة). من أجل ذلك كان من الضروري ترسيخ مفهوم المواطنة تحصيناً لعدم زعزعتها وحرصاً على الصالح العام لدى النشء.

٤ - انتشار الفساد فى دوائر السلطة وتزايد جشعها وحرص القائمين على تحقيق مآربهم الذاتية دون خدمة

مصالح المواطنين مما هز مصداقية الحكام لدى الشعب كل ذلك كان ضمن العوامل التي تجتث الدعائم التي تركز عليها المواطنة.

المواطنة من منظور إسلامي

إلى خاتمة المطاف أو كما يقال إلى بيت القصيد فإن
نأتى ما سبق كأنه بمثابة التحضير وتهئية الفكر لهذا
الموضوع الرئيسى والمهم وإعداد الإطار الذى تحل فيه الصورة
المقصودة والمطلوبة.

تعريف المواطنة فى الموسوعة العربية العالمية:

المواطنة هى تعبير قومى يعنى حب الشخص وإخلاصه
لوطنه ويعرفها أحد الكتاب: بأنها مجموعة من الحقوق
والواجبات يتمتع ويلتزم بها فى الوقت ذاته كل طرف من
أطراف هذه العلاقة.

ويرى الكاتب الإسلامى فهمى هويدى أنها: تعبير عن
جوهر الصلات بين دار الإسلام وبين من يقيم فى هذه الدار من
مسلمين وذميين مستأمنين^(١).

(١) د. خالد عبد العزيز الشريدة، رؤية فى السياسة الاجتماعية، ورقة بحث
سنة ١٤٢٦ سنة ٢٠٠٥ م.

وباستعراض هذه التعريفات الثلاثة نلاحظ ما يلي :

١ - أن التعريف الأول أبرز الوضع القومى لمجال متسع لوطن كبير يبادله المواطن القومى حباً وإخلاصاً نظير تمتعه بكل ما فيه من خيرات ونعم.

٢ - أما التعريف الثانى فيركز على علاقة بين طرفى المواطن والوطن يتبادلان فيها الحقوق المكفولة للمواطن مقابل الواجبات المؤداة منه.

٣ - أما التعريف الثالث فهو الذى يتجلى فيه المفهوم الإسلامى بما تضمنه من التعبير عن الوطن بدار الإسلام وبما شمله من تعميم المواطنين فشمّل المسلمين والذميّين والمستأمنين فكان أوضح ما يكون فى التعبير عن المواطنة من منظور إسلامى مما يجعلنا نختار هذا التعريف الثالث تعريفاً إسلامياً للمواطنة.

المواطنة بمفهومها الحديث والإسلام^(١):

المجتمع الإسلامى لا يناهض المواطنة إن أريد من مضمونها الانتماء للوطن - الشعب والأرض والمؤسسات - دون إلغاء حرية أو محو صفة.

(١) د. محمود كريمة، مقال فى جريدة صوت الأزهر، السنة الثانية، العدد ٣٨٩ / ٩ / ٣ / ٢٠٠١ م.

أما إذا كان المصطلح أو ما وراءه أو ما لا يعلم ظاهراً أو ما كان على هوى واضعه الانقلاب على الدين أو الحق أو طمس هوية أتباعه فإنها بهذه الصفات مرفوضة لأنها إما أن تؤدي إلى علمنة المجتمع أو إعلاء طائفة - قلت أو كثرت - على الكثرة الوافرة لاتباع الدين مما يتجافى مع أبسط الأعراف.

والمجتمع الإسلامى مع إقراره مبدأ المساواة بين الأفراد فى الحقوق والواجبات على أساس إنسانى فى المقام الأول ومع تقريره لحرية إبداء رأى إلا إنه قيد الحقوق الفردية بشكل يضمن مصلحة الجماعة.

فالحقوق الفردية فى الإسلام ليست مطلقة. وحمل الإسلام الفرد واجبات والتزامات مادية ومعنوية تكفى لتحقيق مصلحة الجماعة وإيجاد المجتمع المتعاون.

وعلى ضوء ما سلف فإن المواطنة بمعناها الصحيح - لا المزيف - لا يرفضها الإسلام ما دامت تعنى حسن وصدق الانتماء للوطن سواء ولد به أم لم يولد الوفاء بالحقوق والواجبات بما فيه المصلحة المحققة لا الموهومة والاعتزاز بالموروث الدينى والهوية والصيغة الثقافية المستمرة.

أما إذا أريد بالمواطنة محو الهوية وتنحية الدين أو ما بقى منه من أمور فردية العقيدة وشعائر تعبدية وأحوال شخصية وفقه الأسرة والمواريث. وأما ما عداه من معاملات مالية ونظام وقضاء وتشريع جنائى فلا وجود له إلا فى بطون المصنفات الفقهية وقاعات دروس المؤسسات التعليمية وإذا أريد بالمواطنة كذلك التذرع أو التقلل لإرضاء الغير للانسلاخ عن الدين أو للحيلولة بعدم إقامة ما يدور فى خيالات البعض من الدولة الدينية المثار من جماعة منسوبة للدين شعاراً وهى فى واقع الأمر عمل سياسى بحث ليست مؤهلة للإنابة عن المسلمين ولا التحدث باسمهم. والمواطنة بهذا خداع وكلمة حق يراد بها باطل.

نشأة المواطنة فى الإسلام^(١):

إذا كان التطور الغربى لم يعرف المواطنة إلا بعد الثورة الفرنسية بسبب التمييز فى الدين بين الكاثوليك والبروتستانت وعلى أساس العرق بسبب الحروب القومية،

(١) د. محمد عمارة، مقال السنة النبوية فى المواطنة والوحدة الوطنية، مقال الأخبار - العدد رقم ١٧٠٧ سنة ٥٥ الجمعة ١٢ / ١ / ٢٠٠٧ م.

وعلى أساس الجنس بسبب التحيز ضد النساء وعلى أساس اللون فى التمييز ضد الملونين.

فإن المواطنة الكاملة فى الحقوق والواجبات قد اقترنت بالإسلام وتأسيس الدولة الإسلامية الأولى فى المدينة المنورة على عهد رسول الله ﷺ فالإنسان فى الرؤية الإسلامية هو مطلق الإنسان والتكريم الإلهى لجميع بنى آدم. وقد وضعت الدولة الإسلامية المواطنة موضع الممارسة والتطبيق والتقنين فى المواثيق والعهود الدستورية منذ اللحظة الأولى لقيام هذه الدولة. ففى أول دستور فى المدينة المنورة وفى أول سنة هجرية نص دستور الصحيفة أو دستور المدينة على أن اليهود أمة مع المسلمين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن بينهم النصر على من حارب وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

وهكذا تأسست المواطنة فى الإسلام فى الدولة الإسلامية عندما جمعت الأمة أهل الديانات المختلفة والمتعددة على قدم المساواة لأول مرة فى التاريخ وعندما بدأت العلاقات بين سلطة الدولة الإسلامية على عهد النبى ﷺ بين المتدينين بالنصرانية: نصارى نجران السنة العاشرة الهجرية قررت

لهم الدولة بالعهد الموثقة كامل المساواة فى حقوق المواطنة وواجباتها وكان الشعار هو: (لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم).

وقد نص العهد لنصارى نجران ولكل النصارى عبر الزمان والمكان على أن :

«لنجران وحاشيتها وسائر من ينتحل النصرانية فى أقطار الأرض جوار الله وذمة محمد رسول الله ﷺ على أموالهم وأنفسهم وملتهم وبيعتهم وكل ما تحت أيديهم أن يحمى جانبهم ويذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السياج وأن يحرس دينه وملتهم وأيضا كانوا بما يحفظ به النفس والخاصة.

وعندما أباح الإسلام زواج المسلم من الكتابية (اليهودية والنصرانية) أسس ذلك على شرط احترام عقيدتها الدينية احتراماً كاملاً واشتراط أنه لا بد فى الزواج من رضا أهل الزوجة الكتابية.

وبلغت آفاق المساواة فى حقوق المواطنة إلى النص فى عهد رسول الله ﷺ على مساعدة الدولة الإسلامية لأهل الكتاب عند الحاجة فى بناء دور عبادتهم وترميمها.

وفى المسائل المالية والاقتصادية كالخراج والضرائب نص فى العهد المذكور على الإنفاق عليهم عند عجزهم ، ولا يحملون إلا قدر طاقتهم وقدرتهم ولا يكلفون شططا ولا يتجاوز بهم أصحاب الخراج عن نظرائهم.

ولم تقف الدولة الإسلامية عند أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وإنما شملت حتى المتدينين بالديانات الوضعية من المجوس والزرادشت والبوذيين والهندوس وغيرهم.

الواجبات مقابل الحقوق:

من مقتضيات المواطنة مقابلة الحقوق بالواجبات. فكما يتمتع المواطنون بالحقوق لابد أن يؤديوا ما عليهم من واجبات إزاء وطنهم الذى متعمهم بهذه الحقوق. تلکم هى المواطنة المتوازنة المتعادلة.

وقد انطبقت تلك القاعدة على المتدينين من غير المسلمين فى ظل الدولة الإسلامية والذين أفاض عليهم عهد رسول الله ﷺ الحقوق كاملة إذ قرر لهم حماية الأنفس والدماء والأموال والأعراض وأماكن العبادة.

ومقابل ذلك وحتى يحدث التقابل والتعادل والتوازن يشترط عليهم عدم الحرب على أحد من المسلمين فى سره

وعلا نيته، وألاً يساعدوا أحداً من أهل الحرب على المسلمين
بسلاح أو خيل أو رجال أو غير ذلك، وألاً يكون أحد منهم
عيناً لأحد من أهل الحرب على المسلمين، وألاً يظهروا العدو
على عورات المسلمين. فإن نقضوا عهدهم من بعد ميثاقهم
فليأذنوا بحرب من الله ورسوله والمؤمنين ولن تأخذهم بهم
رحمة ويكونون بذلك قد أخلوا بالمواطنة واختلت في حياتهم
موازينها وتوازنها فحق عليهم العقاب والجزاء.

حق المواطنة والجزية^(١):

جرى العرف الإسلامى على تسمية غير المسلمين المقيمين
فى المجتمع الإسلامى بأهل الذمة (الذميّين)، ويرى الكثير
أن هذا الوصف قد بات فى حاجة إلى المراجعة. فإن معيار
قسمة الناس على أساس أديانهم يلغى قيمة الوطن الذى يجب
أن يظل ملكاً للجميع سواء الذين يدافعون عن العقيدة أم الذين
يدافعون عن التراب.

إن غير المسلمين صاروا شركاء فى أوطان المسلمين، وإن ديار
المسلمين ينبغى أن تظل ملكاً للمسلمين وغير المسلمين من غير

(١) د. إدوار غالى الذهبى، معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى،
صفحة ٩١ وما بعدها.

تسلط ولا أفضلية من أحد على أحد لأنه لا فضل لإنسان على إنسان إلا بتقواه وعمله الصالح.

فغير المسلمين المقيمين فى الدولة الحديثة مواطنون فيها لهم من الحقوق بكل ما للمسلمين وعليهم من الواجبات ما على المسلمين^(١).

وخلاصة القول أن تعبير أهل الذمة لم يعد معبراً عن الواقع الراهن لأن جميع أبناء الدولة مواطنون يستمدون حقوقهم ويتحملون واجباتهم بناء على صفة المواطنة التى ترفض التمييز بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة.

سقوط الجزية:

معنى الجزية: لفظها معرب من كلمة كزيت الفارسية ومعناها الخراج الذى يستعان به على الحرب.

تاريخها: أول من سنّها كسرى أنو شروان ملك الفرس وجعلها طبقات وكذلك فرضها يونان أثينا على سكان سواحل آسيا الصغرى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد وفرض الرومان

(١) د. محمد سليم العوا، أصول النظام الجنائى، ط ٢ سنة ١٩٨٣م صفحة ٣٧ دار المعارف.

الجزية على الأمم التي أخضعوها. وقررها النصارى على المسلمين عندما استولى الإمبراطور باسيل على حلب. علتها: اختلف الفقهاء حول علة فرض الجزية على النحو الآتى:

ذهب فريق إلى أنها عقوبة لغير المسلمين. وذهب فريق آخر إلى أنها بدل سكنى دار الإسلام. وذهب فريق ثالث إلى أنها بدل حماية ومنعة، وهو الراجح وهو رأى الأحناف والزيدية والقاعدة المشهورة (الحماية بالجباية).

سقوطها: إذا زالت العلة وهى الحماية فلا داعى إلى الجزية، وعلى ذلك فتسقط الجزية إذا زالت أسبابها بزوال الحماية للذميين أو إذا أدوا فريضة الجهاد والدفاع عن الوطن مشاركين للمسلمين كما هو حادث الآن فى الدولة الحديثة حيث يجند المواطنون جميعاً بصرف النظر عن دينهم.

الفكر السياسى الإسلامى والمواطنة^(١):

إن الفكر السياسى الإسلامى لا يعترض على مفهوم المواطنة الحديثة، ولكنه يعطى لهذا المفهوم اتساعاً بحيث يصبح

(١) د. خالد عبد العزيز الشريدة، ضاعت المواطنة فى عالم متغير، بحث مقدم سنة ٢٠٠٥م (مرجع سابق صفحة ٨١).

مفهوماً أكثر شمولاً. فالمواطنة الصالحة ليست حكراً على مكان دون آخر بل إن ممارستها مطلوبة في كل زمان ومكان في الداخل والخارج.

ولعل أبرز من أعطى لمفهوم الوطنية المنبثقة من المواطنة اتساعه الإنسانى المصطفى ﷺ حيث قال: (ليس منا من دعا إلى عصبية)^(١). فالإسلام تجاوز مضمون هذا الحديث من المفهوم السياسى الضيق إلى المفهوم الإنسانى الشامل الواسع.

فإن الإسلام يعطى مفهوماً إنسانياً للمواطنة ينصهر فيه الولاء والانتماء من الجزء إلى الكل بحيث لا يتوقف امتداد الولاء أو الانتماء عند حدود العائلة أو القبيلة أو البلدة أو حتى الدولة، وإنما يتسع ليشمل كل شىء من مكان الوطن وزمانه ودون حدود لمعنى السياسة والجغرافيا مما يعرف إسلامياً بدار الإسلام.

وهكذا سما الإسلام بالمواطنة مرتقياً بممارستها الوطنية فوق التعددية الثقافية والتي كانت من أبرز المشكلات التى تواجه الوطنية فتحولت فى المجتمعات الإسلامية إلى

(١) رواه أبو داود فى سننه (جزء من حديث).

ما يعرف بتلاقى الثقافات وتوافق الأفكار مما كان مواجهة
رشيدة وفريدة لمشكلة التعددية.

المرأة والمواطنة فى الإسلام^(١):

المرأة جهاز روحى عجيب يلقى فى قلب الرجل أسرار
القوة ومعنى الثقة فى النفس. وهى إنسان كريم وأسمى ما
فيها إنسانيتها الرفيعة. وقد قضت سنة الله أن تجعل كرامتها
منوطة برعاية أمانتها الخاصة، وأن تجعل سعادتها منوطة
بأداء وظيفتها أمًا أو زوجة أو ربة بيت، فإن كانت أمًا تفى
طاعتها رضوان الله تعالى وتحت أقدامها الجنة.

وإن كانت زوجة صالحة فهى أفضل نحر يستفيده المرء من
دنياه بعد تقوى الله، وهى الحسنه التى يطلبها المؤمن من ربه
صباح مساء ويتمناها فى دنياه وآخرته تصديقاً لقوله تعالى:
﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾^(٢)، حيث
يرى بعض المفسرين أن الحسنه هى الزوجة الصالحة.

(١) د. عبد الرحمن عميرة، رجال ونساء أنزل فيهم قرآن، المجلد الثالث،
صفحة ٤١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

والمرأة فى منهج الإسلام هى الستر والوقاية وهى الحفظ والرعاية. وهى مع زوجها متلابسان كما صورتهما الآية الكريمة أروع تصوير بقوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾^(١) حتى يخوضا معركة حياة معاً ويوفقهما الله فى تربية الأولاد ويقيما دعائم عشهما على الود والمحبة.

حقوق المرأة المترتبة على المواطنة فى ظل الإسلام:

أما ما يتعلق بالحقوق كما سبق أن ذكرنا فهى نوعان:
أولاً: حقوق مدنية: تشمل التصرفات المترتبة على الأهلية كالبيع والإيجار والهبة وغيرها من الحقوق العينية الأصلية والتبعية والشخصية والذهنية، وفى جميع هذه الحقوق العينية الأصلية والتبعية والشخصية والذهنية وفى جميع هذه الحقوق تتحقق للمرأة المساواة الكاملة مع الرجل فتتمتع بكل هذه الحقوق تماماً كالرجل دون أى قيد عليها ما دامت كاملة الأهلية وتسرى عليها أحكام الأهلية اكتمالاً ونقصاً وانعداماً كما تسرى على الرجل تماماً.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

وفى ذلك تتميز المرأة عما تتميز به المرأة فى كثير من الدول الأوروبية إذ تنتقص من أهليتها وتحرمها من حقها فى كثير من التعامل وكثيراً ما تنسبها إلى زوجها حتى فى اسمها إذ يلحق اسمها باسم زوجها.

ثانياً: حقوق سياسية: كالمساواة والحرية والمشاركة فى الشئون العامة. وسنتناول هذه الأمثلة الثلاثة بشيء من التفصيل نظراً لما يثار حولها من جدل ونقاش فى ظل الشريعة الإسلامية:

(أ) المساواة: تثار بشأنها مناقشات جدلية حول العناصر الآتية:

الأول: الميراث: حيث يدور الجدل حول تمييز الرجل عن المرأة فيه من واقع قوله تعالى: ﴿لِّلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(١). وظاهر النص فى الآية الكريمة يبرز تفاضل الرجل بقدر ضعف أخته الأنثى ولم يبدُ من الآية الحكمة من ذلك التى يظهرها تتابع الآيات الأخرى، كما سيأتى كما يظهرها الدور الذى يقوم به الرجل من الإنفاق وما يتحمله من الأعباء المالية فهو

(١) سورة النساء، الآية: ١١.

فى موضع المعطى دائماً بينما المرأة على العكس منه تماماً فهى موضع الآخذ، ومن يتلقى الإنفاق وهى المعول إن كانت زوجة أو أمًا أو أختًا ولو كانت امرأة مقتدرة فإن مسؤولية الإنفاق دائماً على الرجل.

والزوايا الأخرى التى تبرزها الآيات الأخرى وتبين المواضع التى تتميز فيها المرأة فى الميراث يظهرها الباحث المتأمل كما ظهرت فى البحث التالى:

أظهر البحث^(١) أنه على الرغم من أن هناك أربع حالات تراث فيها المرأة نصف الرجل. فهناك ٣٠ (ثلاثون) حالة تراث المرأة أكثر منه. وعلى الرغم من أن الديانة اليهودية تحرم المرأة من الميراث ومع ذلك فلم يهاجمها أحد.

فقد أجرى الدكتور صلاح سلطان أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة دراستين: الأولى: بعنوان فقه المرأة وقضية المساواة. والثانية: بعنوان ميراث المرأة وقضية المساواة.

(١) دراسة فى مقال دين ودنيا للعيسوى بصحيفة الميدان، الصفحة العاشرة ٢٣ من شوال سنة ١٤٢٧هـ الموافق الأربعاء ١٥ نوفمبر سنة ٢٠٠٦م. ويمكن الرجوع إلى هذه الدراسة لمعرفة الحالات الثلاثين.

وقدم للدراسيتين الدكتور محمد عمارة الذى أكد أن من بين حالات الميراث ثلاثين حالة تراث فيها المرأة أكثر من الرجل أو مثله أو تراث هى ولا يرث هو بينما ميراثها نصف الرجل لا يتعدى أربع حالات فقط. وأن التمايز فى الميراث لا تحكمه الذكورة والأنوثة بل تحكمه معايير ثلاثة هى :

١ - درجة القرابة: بين الوارث والمورث ذكراً كان أم أنثى فكلما اقتربت الصلة زاد النصيب فى الميراث.

٢ - موقع الجيل الوارث: من التتابع الزمنى للأجيال فالتى تستقبل الحياة عادة يكون نصيبها أكبر من نصيب التى تستدبر الحياة. فالبنت مثلاً تراث أكثر من الأم وكلتا البننتين تراث أكثر من الأب.

٣ - إذا توفرت للمرأة كفالة قوية مؤكدة يقل نصيبها عن نصيب الرجل فى الميراث لقوة حقها فى النفقة كميزان ربانى دقيق. فإذا قلت أوجه الكفالة فإن المرأة تراث مثل الرجل كما فى حالة الإخوة مع الأخوات لأم، وقد تراث أكثر منه وقد تراث ولا يرث نظيرها من الرجال، وإذا وضعنا حقوق المرأة التى تكسبها فى جانب وحقها فى الميراث أيّاً كان فى جانب فسيبدو لنا أن المرأة بحق أحظى من الرجل كثيراً.

القوامه: توضحها الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(١). فمن هذه الآية الكريمة تبين أن قوامه الرجال على النساء تقوم على ركنين أساسيين:

أولهما: ربانى خلقى: هو اختلاف خلقه وطبيعة كل من الرجل والمرأة حيث إن الرجل مخلوق ليتحكم فى تصرفاته العقل بالحكمة ليتلاءم مع ظروف كونه رب الأسرة وراعى شئونها والقائم على مصالحها. أما المرأة فمخلوقة لتهمين عليها العاطفة لتناسب الأمومة ولتشمل الأطفال بعطفها وحنانها، وكما تقول القاعدة الأصولية (كل ميسر لما خلق له) مأخوذة من الحديث الشريف. وكما يظهر نص الآية الكريمة: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

ثانيهما: دنيوى اكتسابى: يكتسبه الرجل من واقع تصرفاته فى حياته ودينياه فى معاشته لزوجته وأسرته وتبرزه الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ فال التزام الرجل بالإنفاق على أسرته ملبياً طلباتها قاضياً بالمال الذى

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

يكتسبه حاجاتها يعطيه الحق فى إدارة شئونها وتدبير أمورها. حتى لو كانت المرأة غنية لا ينتقل إليها الالتزام بالإنفاق وإن اضطرت إلى الإنفاق فإلى حين ونظرة إلى ميسرة وحكم الاستثناء من القاعدة الواردة فى الآية الكريمة.

الحرية: الذى يهمنى من مظهر الحرية هو انطلاق المرأة بحرية إلى العمل: وهو أساساً واجب الرجل الذى يتولى الإنفاق على الأسرة، ولكنه فى ذات الوقت يثير الجدل فى حق المرأة فى العمل باعتبارها نصف المجتمع وإهمالها إهمال لطاقة تعطل هذا النصف فى المجتمع مما يضر بإنتاجيته ويؤثر فى تقدمه وتحضره.

ومن المسلم به فى فقه الشريعة الإسلامية أن مجال العمل الذى يخص النساء مباح للمرأة لتعليم البنات ومعالجة المريضات وتوليد أولات الأحمال كل هذا وأمثاله لا سبيل إلى إثارة المناقشة والجدال فيه. كما أن عمل المرأة وهى فى بيتها لا اعتراض عليه من أحد بل تزكيه الشريعة الإسلامية. فقد ورد فى الأخبار أن عائشة أم المؤمنين ⁹ رأت أثر الغزل فى يد امرأة فقالت أبشرى بما لك عند الله عز وجل لو رأيتم بعض ما أعد لكن معاشر النساء لما أقررتن ليلاً ولا نهاراً. وعلقت على ذلك بقولها المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهدين فى سبيل الله.

وتبين السيدة عائشة فضل مكث المرأة في بيتها واهتمامها بشئون زوجها فتجيب عندما تسأل عن أفضل النساء بأنها (التي لا تعرف عيب المقال ولا تهتدى لمكر الرجال فارغة القلب إلا من الزينة لبعْلِها والبقاء في الصيانة على أهلها)^(١). أما عمل المرأة في الوظائف العامة: (غير مكثها في البيت أو عملها فيما يخص النساء) فهو مثار الجدل والنقاش وبالتالي الخلاف على النحو الآتي:

فمن الفقهاء من يرى اقتصار عمل المرأة على ما يناسبها من عمل فيما يخص النساء ومكثها في البيت استناداً إلى نص الآية الكريمة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(٢).

وفريق آخر يرى أنه لا مانع من خروجها للعمل إذا كانت ستخرج غير متبرجة استناداً إلى الفقرة التالية من الآية في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ فمفهوم هذه الفقرة أن القيد على الخروج هو التبرج فإذا انتفى التبرج استباح الخروج.

(١) د. عبد الرحمن عميرة، رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآناً، المجلد الثالث صفحة ١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

ومن الفقهاء من قيد عمل المرأة بالضرورة الملجئة إليه كفقد العائل وعدم وجود من بصرف على الأسرة إلا المرأة. وكذلك أباح البعض عمل المرأة معاونة لزوجها في عمله بموافقته في أعمال الزراعة أو الحرف أو الصناعة التي لا ترهق المرأة.

المشاركة فى الشؤون العامة (السياسية):

من مقتضيات الدولة الحديثة وباعتبار المرأة نصف المجتمع يتطلب الأمر مشاركتها فى الحياة السياسية كالإدلاء بصوتها فى الانتخابات فى المجالس المختلفة (النيابية والشعبية والنقابية والجمعيات الأهلية والشركات والهيئات)، وذلك حتى لا يفقد المجتمع عنصراً مهماً من عناصر المواطنين وذلك من أهم حقوق المواطنة الذى أعتقد أن الشريعة الإسلامية فى روحها ومفهومها الشامل لا تعارضه ما دام يتم فى إطار من الآداب العامة والاحتشام وعدم التبرج.

أسباب ضرورة العمل للمرأة بصفة عامة:

- ١ - توسيع أفق المرأة وتنمية شخصيتها.
- ٢ - مساعدة من يعولها أو إعانة نفسها وأطفالها عند فقد العائل.

٣ - النهوض بالمجتمع فلا يمكن تحقيق تقدمه ونصفه (المرأة) عاطل.

الإشكاليات التي تعوق كامل تحرر المرأة: (حرية المرأة):

١ - التراث الأموى الذكورى الذى لا يزال يهيمن على حركة تحرير المرأة حيث كان الأمويون ينحازون نحو الذكور، وشيوع المفاهيم الخاطئة التى تكرر التمييز على أساس الجنس.

٢ - انتشار دعوات عودة المرأة إلى المنزل والتى تجد لها قبولاً فى دوائر كثيرة من المجتمع بعد تدعيمها بنصوص دينية.

٣ - مازال الموروث الشعبى يؤثر فى سلوك المرأة والرجل على السواء وتساعد الثقافة السائدة على قبوله كذلك نمطية دور المرأة بالتركيز على الجمال والأنوثة^(١).

معوقات قيام المرأة بحقها السياسى^(٢): (المشاركة السياسية)

إن مشاركة المرأة فى الحياة السياسية ضعيفة ولا تتناسب مع النسبة العددية للمرأة فى المجتمع ولا مع ما أعطته لها

(١) المصرية كمواطنة - سلسلة إصدارات منتدى حوارات الثقافات، عدد ٢٢ صفحة ٢٨ - ٣٠.

(٢) المصرية كمواطنة - سلسلة إصدارات منتدى حوارات الثقافات، عدد ٢٢ صفحة ٦٢ - ٦٤.

المواطنة من حقوق فى ظل الشريعة الإسلامية ويرجع ذلك إلى المعوقات الآتية:

١ - عدم استقلالية المرأة استقلالاً كاملاً، فهى فى الحقيقة كيان تابع للرجل، ويعتبر مسئولاً عنها حتى وإن كان أقل منها مستوى وثقافة.

٢ - انصراف المرأة عن العمل مما جعل نسبة البطالة تتزايد بين النساء.

٣ - الفهم الخاطيء للدين وعدم التعمق فى دراسته مما كان داعياً للمعوقين السابقين من جهة ومما أدى إلى تقليص دور المرأة استناداً إلى الرأى الفاسد الذى يعتبرها عورة يجب مواراتها.

٤ - ارتفاع نسبة الأمية والجهل بين أفراد المواطنين عامة وبين النساء خاصة وبحكم انعزالهم بصفة خاصة مما أدى إلى عدم إدراك المرأة لدورها وتزايد ضعفها واستكانتها وعدم مطالبتها بحقوقها والتمسك بها.

٥ - الثقافة السائدة فى المجتمع والتى تحجم دور المرأة، فالعادات والتقاليد تفرض عليها أن تبقى فى الظل.

٦ - غياب الرسالة الإعلامية البناءة أو تقصيرها البالغ.

- ٧ - غياب التنشئة السياسية للمرأة والرجل على السواء فى مجالات التربية البيت والمدرسة والعمل ودور العبادة.
- ٨ - الخطاب التنويرى للمرأة لا يخاطب إلا النخبة ولا يصل إلى القاعدة.
- ٩ - سلبية المرأة وخضوعها واستسلامها للأعراف والتقاليد.
- ١٠ - إن صياغة القوانين التى صدرت لصالح المرأة لا تمكنها من القيام بدورها، وإن العبرة بالتنفيذ وليست بالنصوص وإلا تحولت حبراً على ورق.

كيفية مواجهة المعوقات:

- ١ - تيسير مشاركة المرأة فى الحياة السياسية بتسهيل حصولها على الرقم القومى لإثبات شخصيتها عند الإدلاء بصوتها مع تخصيص لجان للمرأة لا يزاحمها فيها الرجال عند التصويت وتخصيص عدد من المقاعد فى قائمة المرشحين للمرأة حتى يكون ذلك ضماناً لتمثيلها فى المجالس النيابية.
- ٢ - إتاحة الفرص لتشغيل المرأة فيما يناسبها من عمل كوظائف التدريس بمدارس البنات والتمريض وعلاج النساء بعد إعدادهن لكل هذه الوظائف وذلك حتى تتمكن المرأة من الاستقلال وتتمتع بالانفرادية بذاتها.

- ٣ - تصحيح المفاهيم الدينية بتجديد الخطاب الدينى لدى الدعاة وتوصيل ذلك إلى النساء فى القواعد الشعبية، وتغيير أساليب الإعلام بكل أجهزته لىخدم قضية مواطنة المرأة ونشر الثقافة بين عنصر النساء بما يعدهن إعداداً سياسياً صحيحاً.
- ٤ - العمل على إدخال التربية السياسية بالقدر المتلائم فى مناهج الدراسة وتدریس ربطها بالدين فى المساجد فى ندوات ودروس خاصة بالسيدات للوصول بالمرأة إلى المستوى المناسب فى الوعى السياسى.
- ٥ - مناقشة التقاليد والموروثات مناقشة موضوعية فى ضوء الفكر الدينى المستنير وفى ضوء المتغيرات المعاصرة مع إبراز ما فى التقاليد من فضائل وما تتضمنه من مساوئ.
- ٦ - تفعيل دور مؤسسات المجامع الأهلية (الجمعيات والنقابات) لأداء دورها على الوجه الأكمل وبكل حریتة.
- ٧ - وضع خطة زمنية متأنية يتم وفقها معالجة جميع المعوقات دون تسرع.

عائد المواطنة «صمام أمان»^(١)

منطقة الشرق الأوسط تضم أوطاناً عربية وإسلامية إن تمزقها صراعات طائفية ومذهبية وتدمرها جرائم ومجازر يرفع أصحابها زوراً وتضليلاً شعارات دينية ولم تعد المصادمات تقتصر على أطراف مسيحية وإسلامية، وإنما على الشيعة والسنة ومشاحنات قومية وعرقية بين تركمان وأكراد، وقد تنفجر بين أكراد وعرب وتتصدع دول وتتساقط وتنهار كيانات وتتفتح أبواب النيران عندما يتقاتل أبناء الوطن الواحد. ومن هنا كانت أهمية التأكيد على مفهوم المواطنة وقيمتها ومبادئها فالكل أبناء، والكل متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات ولا تفرق بينهم عقيدة ولا دين ولم تعرف المنطقة عبر التاريخ انقساماً دينياً أو طائفيًا إذ كانت تحت ظلال المواطنة ولو عادت كما كانت في السابق لوجدت المخرج مما فيه.

(١) نبيل زكي، صمام الأمان حق المواطنة، جريدة الأخبار، صفحة ١٧ في ٢٠٠٧ / ٢ / ١ م.

المواطنة هي الحل:

ذلك لأن ممارسة المواطنة ومباشرتها وفق مبادئها وقواعدها وأصولها هي الحل لكل قضايا دول الشرق الأوسط، سواء العربية منها أم الإسلامية، ولا نبالغ إذا قلنا إنها الحق لقضايا حتى الدول الإسلامية في شتى أرجاء العالم على رغم تباعدها واختلاف حدودها وتنوع لغاتها.

إن المواطنة هي علاج الفرقة بين الصراعات الدائرة في العراق بين الشيعة والسنة من جهة، وبين العراقيين والأكراد من جهة أخرى، وبين ما يتوقع من تطلعات الإيرانيين في العراقيين ونتائج هذه التوقعات. ذلك أن المواطنة بممارستها الإسلامية ستجعل الجميع يلتفون حول دينهم الإسلامي وتحت زعامة رسولهم ﷺ يعتصمون بحبل الله جميعاً استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾^(١).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

وكذلك الأمر فى فلسطين فإن المواطنة هى علاج التصدعات التى حدثت بين فرقاء الكفاح وإخوان الجهاد. فقد استطاع العدو الصهيونى الماكر الغادر أن يمزق شمل كتائب المقاومة وبدلاً من أن كان هدفها وجهادها موجهاً إلى العدو، اختلّفوا على أنفسهم بل ساعدوا العدو فى الغدر بقياداتهم واغتيالهم. ولو أنهم مارسوا المواطنة وباشروها لوجدوا كلمتهم حماية لوطنهم فلسطين كجزء مهم من أمتهم الإسلامية بها المسجد الأقصى ثالث المساجد الحرم والذى يراد به الغدر من الصهاينة ويدبر له الهدم والتدمير لو أنهم تذكروا أخوتهم الإسلامية فى ظل زعامة نبيهم ﷺ لنجحت مقاومتهم وحققوا أهدافهم مع الصبر والكفاح كمعونات للمواطنة.

وفى مصر قلب العروبة النابض وموطن الأزهر الشريف ومنارة العالم الإسلامى تحاك المؤامرات الطائفية للإيقاع بين عنصرى الوطن المسلمين والمسيحيين الذين تعايشوا فى ظلال المواطنة الوارفة من عهد عمرو بن العاص بدخول الإسلام طواعية وتسامحاً مع العنصر المسيحى الآخر بزعامة المقوقس وتجانس العنصران فى مودة وحب حتى ظهرت هذه الأيام فئة تسمى مجموعة المهجر التى تناوئ الأوضاع فى مصر من خارجها من

الولايات المتحدة مدعية انتقاص حقوق للإخوة المسيحيين بشيء من المغالطة مما أثار كثيراً من الجدل والمناقشة.

ثم اقترح ضمن مشروع تعديل الدستور إدخال المواطنة بديلاً لتحالف القوى العاملة وتنافراً مع الدين حيث يرفض دخول الدين في السياسة، وهنا مجال الملاحظة والنقاش. فما وجد الدين إلا لإصلاح شئون الحياة والتربية الدينية أيا كانت إسلامية أو غير إسلامية مطلوبة للتنشئة بل هي أساس من الأسس التي تقوم عليه المواطنة ولا تتعارض معها فالإيمان ضرورة من ضرورات الحياة وبغيره لا تستقيم ولا تصلح كما قال الشاعر^(١):

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيى ديناً
ومن رام الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريناً

إن ممارسة المواطنة بالأسلوب الصحيح ستكون حلاً ووقاية من كل مشاكل مصر ولن تسمح لظهور أى فئة طائفية أو غيرها ولنضرب مثلاً لبلد ووطن إسلامي هو أفغانستان فقد ظهرت فيه اتجاهات إسلامية لم ترق الغرب. فوصمه بالإرهاب وهي

(١) الشاعر هو محمد إقبال من باكستان من قصيدة مترجمة.

دعوة طالبان واستمرت مقاومة هذه المجموعة بجنود يمثلون عددًا من الدول الغربية على رأسها الولايات المتحدة. ولو أنهم تركوا ممارسة المواطنة تأخذ طريقها لما احتاجوا إلى هذه السنوات العديدة من الصراع فإن صلاحية المواطنة لمواجهة مواقف المواطنين هي تحقيق الديمقراطية الحديثة التي تنادى بها هذه الدول المتدخلة فى الصراع بلا نهاية ولا نتيجة.